الجليل في يوم الارض (١)

عرب الجليل والنضال الفلسطيني

د. الياس شوفاني

يختلف عرب الجليل في وضعهم السياسي العام عن بقيـــة اجزاء الشعب الفلسطيني ، سواء في المناطق المحتلة ، الضفة الغربية وقطاع غزة ، او خارجها في مواطن الشتات ، وتبعا لاختلاف هذا الوضع يتميز موقعهم النضـــالي علـى صعيد المواجهة المصيرية بين الشعب الفلسطيني والاستيطان الصهيوني · فهم لم يتشردوا ، وبالتالي ليست العودة هي هاجسهم الاول · وهم ، وان كانوا عمليا كذلك ، فانهم رسميا ليسوا تحت الاحتلال ، وبالتالي فليس همهم الاول هو رفـع الاحتلال بانسحاب قواته · وعرب الجليل ، على الاقل شكليا ، « مواطنون » في الكيان السياسي الذي لا يزال يشكل العدو القومي · وهو لا يمارس عليهم القمع القومي فحسب ، وانما يتعداه الى النواحي الاقتصادية والاجتماعية من حياتهم· وكما ان عرب الجليل ، حيث هم ، يعايشون تناقضـا بيـــن انتمائهم القومـــي وانتسابهم السياسي ، هكذا يتصرف الكيان الصهيوني ازاءهم بازدواجية لا تخلو من عنصرية · ولكن لا تكافؤ بين الطرفين ، اذ ان احدهما هو الحاكم ، بينمـــا الآخر هو المحكوم ، والاول ، بطبيعة الحال ، في موقع القوة والقدرة على التقرير وتحديـــد العلاقـــات ·

وعرب الجليل يعيشون مفارقات غريبة ، ليس اقلها انهم « عرب اسرائيليون »، وكأنما فرض عليهم ان يتقولبوا في هذا الاناء غير محدد الشكل · والواقع انهـم قد طوروا لانفسهم ، بفعل الظروف المحيطة بهم ، نمط حياة فريد · وهـم لـــم يستكينوا الى الاوضاع الناجمة عن الانقلاب السياسي في وطنهم ، كما انهـــم لم يقودوا الثورة عليها · وبين هذين الحدين تأرجح سلوكهـــم ازاء الكيـــان الصهيوني المستحدث على ارضهم ، من قبول مشوب بالتردد والحذر لشرعيـــة هذا الاستحداث ، الى خروج عليها مشوب بالقلق والخوف احيانا · وهم ، مـع انهم قد يطمئنون الى اكثريتهم العددية في مناطق تجمعاتهم ، والى كونهم الفئـة السائدة في تلك الجيوب ، والى انتمائهم القومي للاكثرية الساحقة عبر الحـدود القريبة ، يبقون اقلية داخل الكيان ، بعيدين عن الهيمنة حتى في مناطقهم · وامامنا تجمعات عربية على ارض كانت حتى الامس القريب عربية ، شهدت عملية تحقيق ما كانت تخشاه منذ بروز الصهيونية كقوة سياسية : انتزاع القدرة على تقريـر